

هيا نتعلمنا يا جدي



اسمي مريم وعمرى ست سنوات، وأخي يوسف عمره تسع سنوات.



كَانَ يُوسُفُ دَائِمًا يَسَاعِدُ أُمِّي وَأَبِي فِي أَشْيَاءَ عَدِيدَةٍ بِالْبَيْتِ؛ كَشِرَاءِ الْأَكْلِ مِنَ الْمَتَجَرِّ الْقَرِيبِ،
وَالْإِعْتِنَاءِ بِأَشْجَارِ الْحَدِيقَةِ.
كَنتُ دَائِمًا أَفْكُرُ فِي أَنْ أَعْلَمَ أَشْيَاءَ أَسَاعِدُ بِهَا أُمِّي وَأَبِي فِي الْبَيْتِ أَيْضًا.

وفي يومٍ من الأيام، رأيت يوسف وهو يركب دراجته بسرعة ومهارة وهو ذاهب إلى المتجر؛ ليشتري
طببات البيت.. شعرت بالحنن؛ فأنا أيضا أريد أن أساعد أمي وأبي.




قالت أمي: لماذا أنت حزينة يا حبيبتي؟
قلت: لأنني أريد أن أساعدك في البيت، لكنني لا أعرف كيف.
قالت أمي: إن كنت تريد أن تعرفي شيئاً، فالحل هو أن تتعلميه يا مريم.

قالت أمي: هل تريدني أن تتعلمي ركوب الدراجة، ولتساعدينا في شراء لوازم البيت؟
قلت: نعم!
قالت أمي: إذن هيا نتعلم.



فِي الْيَوْمِ الْتَّالِي، بَدَأَتْ أَتَعْلَمُ رُكُوبَ الدَّرَاجَةِ بِمُسَاعَدَةِ يَوْسُفَ... كُلَّ مَرَّةٍ كُنْتُ أَسْقُطُ مِنْ فَوْقِ الدَّرَاجَةِ كَانَتْ أُمِّي تَقُولُ: الصَّبِرُ، فَأَنْتِ تَتَعْلَمِينَ... أَنْتِ تَتَعْلَمِينَ.



وبعدُ مُرورِ شهرَينِ، أَتَقَنْتُ رُكوبَ الدراجةِ، وَعِنْدَ مَا احتَاجْتُ أُمِّي شَيْئًا ذَهَبْتُ أَنَا وَوَسْفٌ مَعًا إِلَى
المتجرِ؛ لِنَشْتَرِيَ لَهَا كُلَّ مَا نَحْتَاجُ إِلَيْهِ.
كُنْتُ سَعِيدَةً جَدًّا لِأَنِّي أَسَاعِدُ أَبِي وَأُمِّي، وَلَكِنِّي كُنْتُ أَكْثَرُ سَعَادَةً لِأَنِّي اكْتَسَبْتُ مَهَارَةً جَدِيدَةً.



وفي يومٍ من الأيام، دخلت المطبخ على أمي وجدي فسمعتهم يتحدثان عن أكلة ما، ولكن ما جذب انتباهي هو أنني سمعت جدي يقول: «هذه الأكلة جميلة جداً، ولكني لا أعرف كيف أطبخها».



فَقُلْتُ لِجَدِّي: «إِذَا كُنْتُ تُرِيدُ أَنْ تُعْرِفَ شَيْئًا؛ فَالْحِلُّ هُوَ أَنْ تُتَعَلَّمَ».

وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ: «أَذَنْ هِيَ تُتَعَلَّمُ يَا جَدِّي».



أوقات عائلية



استيقظ أحمد من النوم وتوجه إلى حجرة أمه وأبيه؛ فوجد أمه مستيقظة في الفراش ولكنها ترتجف.

قلت لأمي: هل أنت مريضة؟

قلت أمي: نعم.

قلت: شفاك الله وعافاك يا أمي، أين أبي؟

قلت أمي: يجهز السيارة؛ كي نذهب إلى المستشفى.



اتصلت بالمستشفى فقالت لي الممرضة إن الموعد بعد ساعة ... فأسرعوا؛ المستشفى مزدحم.
وفي خلال هذا الوقت احرصوا على راحتها التامة، وأن ترقدي ملابس ثقيلة، وتتناول مشروباً
ساجناً أيضاً.



أَيْقَظْتُ جَدَّتِي وَقَلَّتْ لَهَا: جَدَّتِي، إِنَّ أُمِّي مَرِيضَةٌ فِي الْفِرَاشِ.
قَالَتْ جَدَّتِي: سَاعِدْ لَهَا الْإِفْطَارَ سَرِيعًا، وَسَاعِدْ حَضْرَ طَعَامًا وَمَعَهُ كُوبٌ مِنَ الشَّايِ السَّاخِنِ أَيْضًا.
قُلْتُ: وَأَنَا سَأَقْطِفُ بَعْضَ أَوْرَاقِ النِّعْنَاعِ مِنَ الْحَدِيقَةِ؛ لِتَضَعِيهِ فِي الشَّايِ.



أَيْقَظَتْ أَخِيَّتِي وَقُلْتُ لَهَا: إِنَّ أَمَّنَا مَرِيضَةٌ فِي الْفِرَاشِ، وَيَجِبُ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى الْمَسْتَشْفَى فَوْرًا؛ فَقَالَتْ
أَخِيَّتِي:
أَنَا سَأُسَاعِدُ أَمَّنَا فِي ارْتِدَاءِ مَلَابِسِهَا، وَأَحْضِرُ لَهَا مَعْطَفَهَا أَيْضًا.

سَاعِدْنَا جَمِيعًا أُمِّي، وَأَخِذْهَا أَبِي إِلَى الْمَسْتَشْفَى... نَظَرْتُ إِلَى السَّاعَةِ وَقُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ؛ بَاقِ
عَشْرُونَ دَقِيقَةً، سَتَذُرُّكِ أُمِّي الْمَوْعِدَ.

ثُمَّ قُلْتُ: هِيَائُنَا بِمَسْئُولِيَّتِنَا فِي أَسْرِقَتِنَا كَمَا تَعُوذُنَا: أَنَا سَاضِعُ الْمَلَابِسِ فِي الْغَسَّالَةِ، وَارْتَبِ
الْأَلْعَبِ فِي الصُّنْدُوقِ. قَالَتْ أَخِي: وَأَنَا أَنْظِفُ السَّجَادَ بِالْمَكْنَسَةِ الْكَهْرِبَائِيَّةِ.
قَالَتْ جَدَّتِي: وَأَنَا سَاطَهُو حُسَاءِ الْخَضِرَاوَاتِ لِتَشْرِيبِهِ أَمَكَمَ عِنْدَمَا تَعُودُ.



وبعد ساعة عاد أبي وأمي، وكانت أُمي بصحة أفضل بعد أن تناولت الدواء... شكرت أُمي كل أفراد الأسرة على حبهم وتعاونهم.

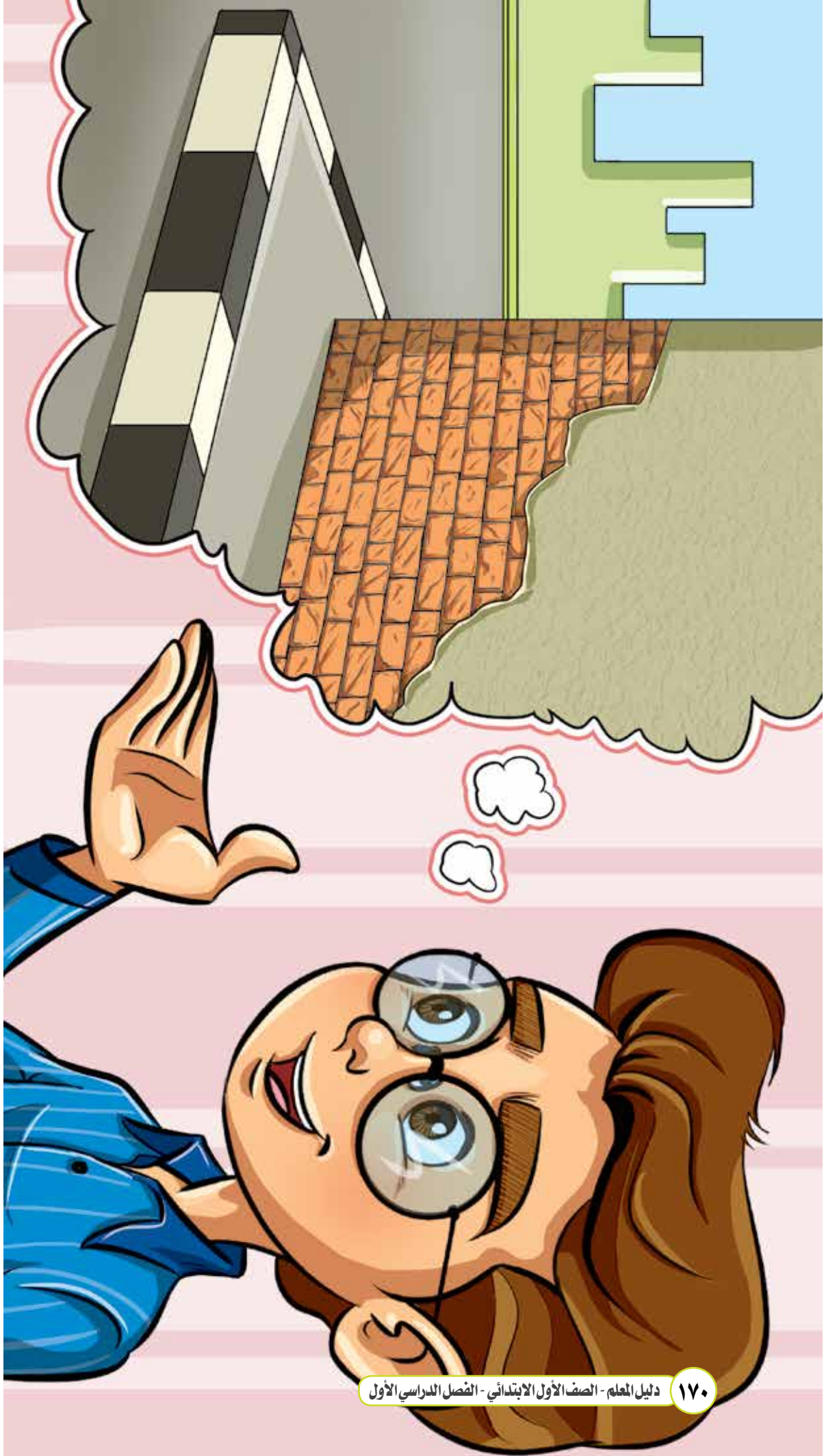
قلت: شكراً لك أيضاً يا أُمي؛ لأنك علمتينا أن نتعاون، وأن نحترم بعضنا بعضاً.

حلّاتٌ بيّضٌ رَسْمًا





انْتَهَى الصَّيْفُ وَخَدَا أَوَّلَ يَوْمٍ فِي الْمَدْرَسَةِ، بَيْنَمَا كُنْتَ أَتَاوُلُ الْعِشَاءَ مَعَ عَائِلَتِي سَأَلْتَنِي أُمِّي: «هَلْ أَنْتَ مَتَحَمِّسٌ لِبَدْءِ الْفَصْلِ الدَّرَاسِيِّ خَدَا يَا إِسْمَاعِيلُ؟». ابْتَسَمْتَ وَقُلْتَ: «نَعَمْ يَا أُمِّي، فَإِنَّا أَحِبُّ مَدْرَسَتَنَا، وَلَكِنْ شَيْءٌ وَاحِدٌ فَقَطْ هُوَ الَّذِي يُزَعِّجُنِي فِي الْمَدْرَسَةِ».



تَعَجَّبْتُ أَمِي، ثُمَّ قَالَتْ: «مَا ذَلِكَ الْأَمْرُ يَا حَبِيبِي؟»
قُلْتُ لَهَا: «مَدْرَسَتُنَا قَدِيمَةٌ وَجَمِيعُ جَدْرَانِهَا (دَاخِلٌ وَخَارِجُ الْمَبْنَى) قَدِ بَهَتْ لَوْنُهَا. أَنَا أَحِبُّ أَنْ أَرَاهَا
جَمِيلَةً مَبْهَجَةً وَمَلِيَّةً بِالْأَلْوَانِ وَالرَّسُومَاتِ، وَأَحِبُّ أَنْ أَشَارَكَ فِي ذَلِكَ الْأَمْرِ».



قالت أمي: «ما رأيك أن تسأل معلمتك خذاً عن هذا الأمر؟». ابستمته وقلت: «خذاً سأسأله».



وفي اليوم التالي ذهبت إلى معلمتي وقلت لها: «أنا أحب مدرستنا جداً، ولكنها قديمة وجميع جدرانها قد بهت لونها. هل يمكن أن ننظم ذلك ونجعل كل التلاميذ يساعدون في إعادة طلاء هذه الجدران؟».

اتسمت المعلمة وقالت: «هذه فعلاً فكرة رائعة. دعني أتحدث مع إدارة المدرسة عن هذه الفكرة، ثم أرجع لك بإجابة».



وَفِي آخِرِ حِصَّةِ الْمَعْلَمَةِ وَحَلَى وَجْهَهَا ابْتِسَامَةٌ كَبِيرَةٌ، وَقَالَتْ: «تَمَّ الْإِتِّفَاقُ مَعَ الْأَدَارَةِ أَنَّهُ سَيَتِمُّ تَجْدِيدُ الْمَدْرَسَةِ، وَذَلِكَ بِالتَّعَاوُنِ بَيْنَنَا جَمِيعًا». أَكْمَلَتِ الْمَعْلَمَةُ: «مُؤَافِقُونَ؟»؛ فَقَالَ جَمِيعُ التَّلَامِيذِ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ مُلِيٍّ بِالْفَرَحَةِ: «مُؤَافِقُونَ».



فِي الْيَوْمِ الْتَالِي كَانَ الْكُلُّ مَتَحِمًّا جَدًّا لِلْبَدْءِ فِي تَجْدِيدِ الْمَدْرَسَةِ، وَخِلَالِ الْأَسْبُوعِ كَانَ كُلُّ التِّلَامِيذِ وَالْعَلَمِينَ يَأْتُونَ إِلَى الْمَدْرَسَةِ صَبَاحًا بِأَفْكَارٍ وَطُرُقٍ جَدِيدَةٍ عَنْ كَيْفَ يَجْعَلُونَ الْمَدْرَسَةَ أَجْمَلَ، وَمَازَا يَحْتَاجُونَ لِيَفْعَلُوا هَذَا الْأَمْرَ.



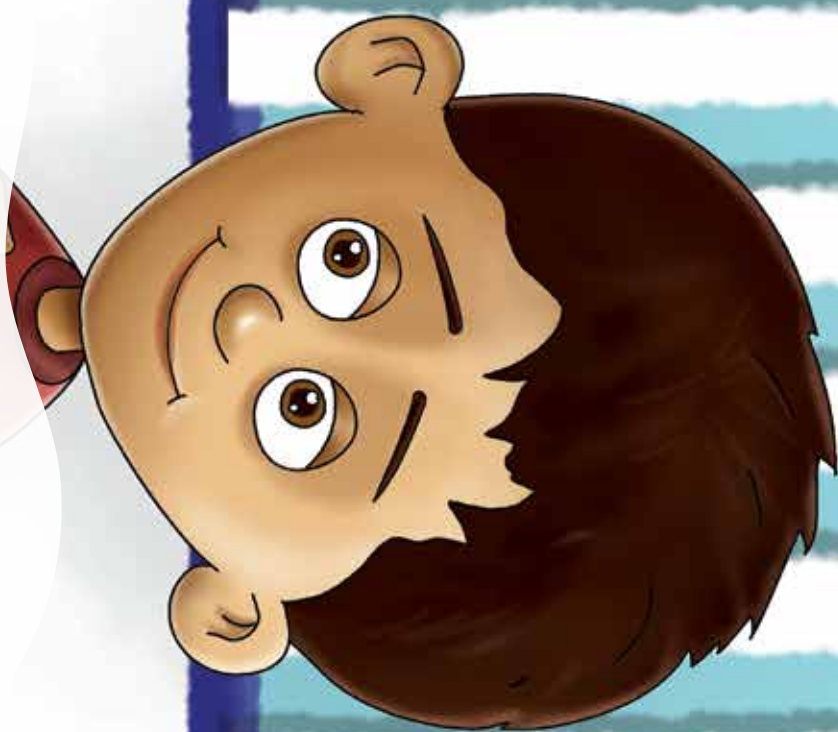
أَمْضَيْتِ أَجْمَلَ اسْبُوعٍ فِي حَيَاتِي بِمَدْرَسَتِنَا. وَفِي خِلَالِ اسْبُوعٍ وَاحِدٍ فَقَطْ، وَبِمُضِلِّ مُشَارَكَةِ الْجَمِيعِ،
أَصْبَحْتُ مَدْرَسَتِنَا أَكْثَرَ جَمَالًا، وَبَهْجَةً، وَحَيَوِيَّةً عَمَّا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنْ قَبْلُ. وَعِنْدَمَا تَأْتِي حَصَّةُ الْأَلْعَابِ أَوْ
الْفَسْحَةِ وَأَنْزِلُ إِلَى الْمَلْعَبِ أَنْظُرُ إِلَى الْجِدَارِ الْمُبْهَجَةِ، وَأَشْعُرُ بِفَرَحَةٍ شَدِيدَةٍ جَدًّا، وَأَقُولُ لِرَمْلَانِي: «لَقَدْ
أَصْبَحْتُ مَدْرَسَتِنَا أَكْثَرَ جَمَالًا»؛ فَيَتَّفِقُ زَمَلَائِي مَعِي وَيَقُولُونَ: «نَعَمْ، أَصْبَحْتَ جَمِيلَةً جَدًّا».



سِرِّ سِرِّ



أنا أَيْمَنُ، فِي الصَّفِّ الْأَوَّلِ الْإِبْتِدَائِيِّ. هُوَ أَيْتِي الْمَفْضِلَةُ هِيَ قِرَاءَةُ تَارِيخِ بِلَادِي، وَيَرْجِعُ الْمَفْضِلُ فِي ذَلِكَ لِأَبِي الَّذِي يُحْكِي لِي كُلَّ يَوْمٍ عَنْ عَظَمَةِ مِصْرَ.
فِي يَوْمٍ مِنَ الْأَيَّامِ أُعْلِنْتُ الْمَدْرَسَةَ عَنْ رَحْلَةٍ إِلَى مَدِينَةِ رَشِيدِ الْجَمِيلَةِ.



عُدْتُ سَعِيداً إلى البيت أخبر أبي عن الرحلة؛ فطلبتُ منه أن يحكي لي عن تاريخ مدينة رشيد؛ فقال لي: «هذه المرة يا أيمن أريدك أن تجمع معلومات عن مدينة رشيد من الإنترنت، وعندما تذهب إلى هناك تجمع معلومات أكثر، وتكتبها في مذكرتك، وتحكيها لي عندما تعود».



بَحِثْتُ عَنْ مَعْلُومَاتٍ عَنْ مَدِينَةِ رَشِيدٍ فَعَلِمْتُ أَنَّهَا بِلَدُ الْمِلْيُونِ نَخْلَةٍ، وَأَنَّهَا تَقَعُ عَلَى نَهْرِ
النَّيْلِ وَالْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمَتَوَسِّطِ.

وَجَاءَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَتَجَمَّعْنَا فِي الْمَدْرَسَةِ فِي الصَّبَاحِ الْبَاكِرِ أَنَا وَأَصْدِقَائِي، وَرَكِبْنَا الْحَافِلَةَ
مُتَّجِهِينَ إِلَى الْمَدِينَةِ بَعْدَ سَاعَتَيْنِ، وَتَجَوَّلْنَا فِيهَا نَشَاهِدُ الْأَثَارَ الْمُخْتَلِفَةَ، وَذَهَبْنَا إِلَى مَكَانٍ
مُلْتَقَى نَهْرِ النِّيلِ وَالْبَحْرِ الْأَبْيَضِ الْمَتَوَسِّطِ.





ولكن أكثر ما لفت نظري في الرحلة هو لون نهر النيل؛ فالماء أزرق نقي، ولا توجد نفايات ملقاة

على الضفاف.

سألت المرشد السياحي عن سبب نقاء ماء النيل في المدينة فضحك وقال لي: ما اسمك؟ قلت له: أيمن.



فَقَالَ: يَا أَيُّهَا الْمَنِيُّ، نَحْنُ فِي مَدِينَةٍ رَشِيدَةٍ نَحَافِظُ عَلَى مَاءِ نَهْرِ الْنِيلِ - الصَّغِيرُ مِنَّا قَبْلَ الْكَبِيرِ -
مِنْذُ قَدِيمِ الزَّمَانِ؛ فَتَهْرُ الْنِيلُ هُوَ الْحَيَاةُ، هَذَا مَا تَعَلَّمْنَاهُ مِنْ أَجْدَادِنَا. انْظُرْ إِلَى هَذَا الْحَجَرِ
الْفِرْعَوْنِيِّ وَمَا كَتَبَ عَلَيْهِ.

«الْحَمْدُ لِلَّهِ يَا نِيلُ، يَا مَنْ تَخْرُجُ مِنَ الْأَرْضِ وَتَأْتِي لِتَغْنِيَّ مِصْرَ».

كُتِبَتْ كُلُّ مَا سَمِعْتَهُ مِنَ الْمُرْشِدِ السِّيَاحِيِّ... وَعِنْدَمَا عُدْتُ إِلَى الْمَنْزِلِ حَكَيْتُ لِأَبِي كُلَّ مَا شَاهَدْتُهُ،
وَعَنْ سِرِّ هَذَا الْحَجَرِ الْفَرَعُونِيِّ.